تابع لموت الألفاظ في العربية

الباب الرابع

إحـياء الممـات

الفصل الأول: الحاجة إلى إحياء الممات.
الفصل الثاني: موقف العلماء من إحياء الممات.
الفصل الثالث: دور مجامع اللغة العربية في إحياء الممات.

الفصل الأول

الحـاجة إلى إحـياء الممات

اللغة ألفاظ معـدودة يعبـر بهـا كـل قـوم عـن أغراضـهم، والأغـراض تتجـدد والمعـاني تتولّـد، والحضارة تقذف كـلّ يـوم بمختـرع، والعلـوم تطالـب كـل حـين بمـصطلح جديـد، والألفـاظ محـدودة، والمعاني لا تنتهي واللغـة التـي لا تـستوعب حاجـات أهلهـا ولا تـساير ركـب الحيـاة تـضمحل ثـم تموت.

وللغات الحية وسـائل تنمو بها، وطرائق تجدد بها شبابها، وللعربية وسـائلها وطرائقهـا التـي تنمو بها وتتجدد، ومن أبرز هذه الوسـائل[1]:

١- القياس.
٢- الاشـتقاق.
٣- الوضع والارتجال.
٤- النحت.
٥- القلب والإبدال.
٦- نقل الدلالة.
٧- التعريب.
٨- إحياء الممات.

وهذا الأخير لم أجد من ذكره في وسـائل تنمية اللغة، وهو في رأيي المتواضع أحـدها، وإن لم يكن أهمها، ويمكن اللجوء إليه والاسـتفادة منه عند الحاجة، وبخاصـة إذا أردنـا أن نحـافظ علـى نقاء اللغة ونحد من ظاهرة الاقتراض في العربية بشقيها المعرب والدخيل.

ويطيب لي أن أقـول مـن خـلال هـذا البحـث أن للمـات دوراً فـي تنميـة اللغـة العربيـة يتمثـل فـي إمدادها بألفاظ من مخزونه الثري، فلربما ماتت الكلمة واختفت زمناً طويلاً ثـم بعثـت مـن جديـد لتـستخدم في معناها القديم، أو في معنى جديد، كإحياء الكلمات الميتة للتعبير عن المـصطلحات العلميـة الجديـدة، ولهذا يقول علماء اللغة المعاصرون: إنـه مـن الخطـأ أن نقـول: (إن كلمـة مـا قـد ماتـت؛ إذ إنّ هنـاك دائمـاً احتمال عودتها للحياة، ولو كان ذلك بعد قرون عديدة من الهجوع والاختفاء من الاسـتعمال[2].

وممّا أعيد اسـتعماله مـن الممـات "الإتـاوة" بمعنـى الجزيـة والخـراج، فقـد دَبّـتْ فـي هـذه الكلمة الحياة من جديد، فذكرتها المعاجم المعاصرة الّتي تعنى بالمفردات الحية[3]، وقد نصّ علمـاء اللّغة القدامى على إماتتها، وأنّها من ألفاظ الجاهلية[4].

وذكر ابن دريد أنّ (الغوث) من غاث غوثاً أميت مع فعله، واسـتعمل منه أغاثه يُغيثـه إغاثـة[5]. وقد أحيا المعاصرون هذا الفعل الثلاثيّ الممات، واسـتعملوا منه قولهم: "غوث اللاجئين" وهـو مـن تعبيراتهم المشـهورة.

وأحيت العامّة في جزيرة العرب فعلاً مماتاً، وهو (قَلَطَ) فقالوا في ترحيبهم بالـضّيف: اقْلُـطْ؛ أي: تفضلْ بالدّخول، وصرفوه في كافّة أزمنة الفعل واشـتقّوا منه اسـم الفاعل. وقد ذكـر ابـن دريـد أنّ الفعل (قَلَط) ممّـا أُميـت مـن الأفعـال[6]، ولهـذا لـم يـرد لـه ذكـر فـي معـاجم اللّغـة؛ كـ(العـين)، و(الأفعال) للسّرقسطي، و(الأفعال) لابن القوطيّة، و(الأفعال) لابن القطّاع، و(اللّسـان) و(القاموس) و(التّاج).

وإذا أمكن إحياء لفظ مهجور لمعنى مسـتجد مع وجود لفظ مولّد يمكن أن يؤدّي الغرض فـإنّ إحياء القديم خير من اسـتعمال المولّد، بشـرط أن يكون ممّا يسـتساغ لفظه ويقبل تركيبه.

وذهب بعض المعاصرين إلى خلاف ذلـك فـرأى أنّ اسـتعمال اللّفـظ المولّـد خيـر مـن إحيـاء اللّفظ الميّت واسـتبقاء المولود الجديد أولى من إحياء الميّت القديم[7].

وإحياء الممات خير من اسـتعمال المهمل؛ لأنّ المهمل لم تـأتلف حروفـه مـن أصـل الوضـع اللّغـوي لعلل صوتيّة في الكثير الغالب، كما يظهـر ذلـك مـن تأمّـل المهمـل فـي معـاجم التقليبـات، وأمّـا الممـات فإنّه ممّـا ائتلفت حروفه وسـاء حينا ثمّ باد لعلل دلاليّة في الكثير الغالب، والدّلالة دائمة التّغير والدّوران.

---

١ ينظر: من أسـرار اللغة ٦، وعوامـل تنميـة اللغـة العربيـة ٥٩ ومـا بعـدها،وعوامل التطـور اللغـوي ١٣ ومـا بعدها، والاشـتقاق والتعريب ٨ وما بعدها.
٢ دور الكلمة في اللغة ٢١٤.
٣ ينظر: المعجم الوسـيط ٤/١.
٤ ينظر: الصاحبي ١٠٣.
٥ ينظر: الجمهرة ٤٢٩/١.
٦ المصدر السـابق ٩٢٣/٢.
٧ ينظر: اللغة العربية كائن حي ٩٣.

ويتّصل بإحياء الممات واستعماله الاشتقاق منه دون إحيائه، وهذا عنصر فعال في تنمية اللّغة، وقد أكثر العرب قديماً من الاشتقاق من ألفاظ مماته نصّ عليها بعض المعجميّن، فمن ذلك اشتقاقهم (العَدَولِيَة) وهو ضرب من السّفن منسوب إلى لفظ ممات، وهو (عَدَوْلاه)[٨].

واشتقّت العرب من (كَهَفَ) وهو فعل ممات قولهم: كَنْهَفَ عنَا، إذا تنحّى[٩].

واشتقوا من (هَرَلَ) هَرْوَلَ هرولة[١٠].

وقال اللغويّيون: إنّ اسم هذيل مشتقّ من فعل ممات، وهو (هَذَلَ)[١١].

واشتقّت العرب (العذيوط) من فعل ممات، وهو (عَذَطَ)[١٢].

ومثل هذا كثير، أوردنا منه قدراً صالحاً من الأمثلة في الباب الثاني من هذا البحث وهو يدل دلالة لا لبس فيها على أنه يجوز الاشتقاق من الممات.

ويمكن - من جانب آخر - أن يعد الممات عند موته عاملاً من عوامل نمو اللغة "فكل تجديد أو نمو في جانب يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر، واللغة في هذا تشبه الكائن الحيّ"[١٣] الذي تتجدد خلاياه مع مرور الزمن، فليس في اللغة كسب دائم من النمو يوفر لها ثراء لا يتناهى، وليس فيها جمود وثبات مطلق، فهي تحاول دائماً أن تصل إلى نوع من التوازن الدقيق، فكما "تقترض ألفاظاً من اللغات الأخرى لتسعف حاجات المتكلمين بها نراها تستغني عن ألفاظ أخرى تختفي من الاستعمال"[١٤].

والممات بهذا المعنى يؤدي دورة في نمو اللغة، ويسهم مع سائر العوامل الأخرى في بقاء اللغة قوية قادرة على مواجهة مستجدات الحياة الفكرية والمادية، فشأنه في هذا شأن الخلية الميتة في جسم الإنسان التي تفسح بموتها المجال للخلية الجديدة الشابة ليبقى الجسم قوياً قادراً علىالحياة.

وبالجملة فإنّ الممات عامل مهمّ من عوامل نموّ اللّغة، في إماتته وفي إحيائه، ففي إماتته إفساح المجال لتنمية اللّغة وتجديدها، وفي إحيائه حقن للّغة بألفاظ أصيلة مألوفة للّغة ومقاييسها.

الفصل الثاني

موقف العلماء من إحياء الممات

لعلماء العربيّة موقفان متضادّان في إحياء الممات وهم في ذلك فريقان: فريق لا يجيز إحياء الممات، وفريق يجيزه.

وممّن لا يجيزون إحياء الممات (ثعلب) فهو يَعُدُّ ماضي وَذَرَ و وَدَعَ من غير الفصيح، ولا يجوز الكلام بهما[١٥].

ومنهم الفارابيّ إذ نقل عنه الفيّوميّ أنّه قال: "والعرب قد تميت الشيء حتّى يكون، مهملاً فلا يجوز أن ينطق به"[١٦] وهذا نصّ صريح الدّلالة.

ولا يجيز أبو عليّ الفارسيّ استعمال ما أميت من (يَدَعٌ) و (يَذَرٌ) لأنّ العرب رفضت ذلك واستغنت عنه[١٧]، وعلى هذا يمكن أن يقال: إنّه يمنع إحياء الممات، قياساً على منعه إحياء ماضي يَدَعٌ و يَذَرٌ.

ويوافقه في ذلك تلميذه ابن جنّي في كلامه في باب القول على الاطّراد والشّذوذ، يقول: "فإن كان الشّيء شاذّاً في السّماع مطّرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله.

من ذلك امتناعك من: وَذَرَ و وَدَعَ؛ لأنّهم لم يقولوهما ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما نحو وَزَنَ و وَعَدَ، لو لم تسمعهما، فأمّا قول أبي الأسود:

لَيتَ شِعْري عَن خَلِيلِي مَا الّذِي ... غَالَهُ في الحُبِّ حَتّى وَدَعَه

فشاذّ، وكذلك قراءة بعضهم: "ما وَدَعَكَ ربُّكَ و ما قَلَى"[١٨].

وأشار إلى ذلك السّيوطيّ في "المزهر"[١٩].

وأمّا الفريق الثّاني فإنّه يجيز إحياء الممات واستعماله لدوره المهم في تنمية اللغة وإثرائها، ومن أقدم من قال ابن درستويه في رده على ثعلب الّذي يمنع استعمال الماضي

---

٨ ينظر: العين ٤٠/٢.
٩ ينظر: الجمهرة ٩٧٠/٢.
١٠ نفسه ٨٠٢/٢.
١١ نفسه ٧٠٢/٢.
١٢ نفسه ١١٤٩/٢.
١٣ المولد في العربية ١٤١.
١٤ ينظر: المرجع السابق ١٥١.
١٥ ينظر: الفصيح ٢٨٩.
١٦ المصباح ٧٠٢.
١٧ ينظر: المسائل العسكرية ١٣٥، ١٣٦.
١٨ الخصائص ٩٩/١.
١٩ ٢٢٩/١.

والمصدر من وَذَرَ و وَدَعَ،قال ابن درستويه: "واستعمال ما أهملوا[٢٠] جائز صواب وهو الأصل وقد جاء في الشّعر منه قول أبي الأسود... وقَرَأتَ القرّاء... واستعمال ما لم يستعمله العرب من ذلك[٢١] غير خطأ، بل هو في القياس الوجه، وهو في الشّعر أحسن منه في الكلام، لقلّة اعتياده؛ لأنّ الشّعر - أيضاً- أقلّ استعمالاً من الكلام"[٢٢].

ويدلّ هذا الرّأي الجريء من ابن درستويه على فهم دقيق مبكّر لدور الممات، وأهميّته في اللّغة ونموّها.

ويبدو لي أنّ كثيراً من علماء العربيّة المتقدّمين يوافقون على هذا الرّأي وإن لم يصرّحوا به، وإنّما يفهم من موقفهم من ماضي (يَدَعُ) فهم يحكمون بأنّه من الممات، مع أنّهم ذكروا بعض الشّواهد على استعماله، من دون أن يخطّئوا صاحبه، أو يضعّفوا قوله، وذكروا بعض القراءات وهم يرون الاحتجاج بالقراءات الشّاذّة في اللغة، وليس لذلك تفسير عندي سوى الإقرار منهم بأنّ الفعل الميّت قد يظهر في الاستعمال على قلة إذا دعت الحاجة إليه في شعر أو غيره، فيكون من باب إحياء الممات.

وقد حمل الأستاذ سعيد الأفغاني على علماء العربيّة القدامي وسفّه قولهم بإماتة هذا الفعل، وقال: "والطّريف أنّ بعض المحقّقين ممّن تأخر زمانه عن أولئك صحّح خطّأهم فأثبت صاحب المصابح هذه اللّغة الفصيحة في معجمة واستنكر ادّعاءهم الإماتة...

وبذلك ترى تسرّب الوهن إلى بعض أحكامهم إذ كانت خطّتهم ينقصها الإحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معاً، وكان عليهم قبل إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقلّ والاحتجاج بها"[٢٣].

ولو تدبّر الأستاذ الأفغاني -رحمه الله - في ذلك وتأمّل طريقة علمائنا في تناول هذا الفعل المتمثلة في الجمع بين قولهم بإماتته وروايتهم قدراً من الشّواهد على استعماله لربّما توصّل إلى مثل ما توصّلت إليه، وتجنب اتهامهم -رحمهم الله- بالخلل في المنهج وعدم الكفاية في الاستقراء.

ويبدو أنّ في صنيع أصحاب المعاجم دلالة قويّة على أهميّة الممات، وأعني بذلك احتفاظهم بالممات في بطون المعاجم الكبيرة المتأخّرة، كـ(التكملة) و(العباب) و(اللسان) و(القاموس) و(التاج) ولعلّ ذلك إرهاص لإحيائه عند الحاجة، وفي هذا كانت المزية للعربيّة، إذ لا تحتفظ سائر اللّغات إلا بالمستعمل، وهو مهدّد بالموت، ومعرّض لقوانين التّطور اللّغويّ والتّعبير الصّوتيّ، فإذا أميت بالترك لم يكن في طبائعها ما تعوض به المتروك الجديد بمتروك قديم، فتضطرّ إلى الاستجداء من لغات أخرى[٢٤]، فقد تصاب بالتّخمة والتّسمم لكثرة ما في أحشائها من الدّخيل.

ولقد ظهرت دعوات في الأوساط اللّغويّة العربيّة المعاصرة للاستفادة من الممات وإحيائه بطريقة منظّمة، تتمشّى مع خطّة معيّنة، تمليها السّياسة اللّغويّة، وتهدف إلى التخلّص من الكلمات الأجنبية أو إلى سدّ النقص الملحوظ في الاستعمال، الّذي لا يمكن معالجته بالطّرق المألوفة، وقد شاع هذا الاتجاه في لغات أجنبيّة في القرن الثامن عشر، كاللغة الألمانية، عند ما جاهد دعاة المحافظة على اللغة وقواعدها في سبيل التّخلّص من الكلمات الفرنسيّة الدّخلية[٢٥].

أمّا في العربيّة فقد أحيا الأدباء والعلماء في العصور الحديثة كثيراً من الألفاظ القديمة للحاجة إلى معانيها، وتبعاً للمخترعات الصناعيّة الّتي تستلزم بعض المصطلحات، ومن هنا وجدناهم يعيدون إلى اللّغة شيئاً من الألفاظ المهجورة "فكثيراً ما يلجؤون إلى ذلك للتّعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعملة ما يعبّر عنها تعبيراً دقيقاً، أو لمجرد الرّغبة في استخدام كلمات غريبة، أو في التّرفع عن المفردات الّتي لاكتها الألسنة كثيراً، وبكثرة الاستعمال تبعث هذه المفردات خلقاً جديداً، ويزول ما فيها من غرابة، وتندمج في المتداول المألوف، ولا يخفى ما لذلك من أثر في نهضة لغة الكتابة واتّساع متنها وزيادة قدرتها على التّعبير"[٢٦].

وعلى الرغم من ذلك فثمة فريق من علماء العربية المعاصرين يميل إلى تجديد اللغة وتنميتها عن طريق الوسائل المشهورة كالاشتقاق والارتجال والمجاز والنحت والتعريب، ويدعو إلى ترك الغريب والحوشي و المهجور والممات وتفريغ المعاجم اللغوية مما تحويه من ذلك[٢٧].

ومن أظهر من يمثل هذا الرأي المعلم الخوري بطرس البستاني الذي عدّ اشتمال المعاجم العربية على الغريب والحوشي والمهجور والممات عيباً من عيوبها وشائبة ينبغي تخليص المعاجم منها لمكان ذلك من الغرابة أو لتوغله في الحوشية والوحشية أو لهجره، وهو يرى أن دفنه خير من بقائه ويشبه بقاءه بالدّمّل في جسم اللغة البهي[٢٨].

---

٢٠ يعني هنا ما تركوه؛ أي: الممات.
٢١ أي من الممات.
٢٢ تصحيح الفصيح ١٢٧ أ، ١٢٧ ب .
٢٣ في أصول النحو ٣٥، ٣٦.
٢٤ ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٩٣.
٢٥ ينظر: دور الكلمة في اللغة ٢١٣.
٢٦ علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٥٥، ٢٥٦.
٢٧ ينظر: في أصول اللغة ١٠٩، وأعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦، والعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٢، والمعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ٢٦٨.
٢٨ ينظر: مجلة المشرق، سنة ١٩٣١م، مجلد ٢٩ ص ٦٨٣، ٦٨٤.

ويتألم هذا الباحث ويتحسر لاتجاه اللغويين والمعجميين إلى الإبقاء على هذا النوع من الألفاظ في معاجم العربية، ويقول: "ومما هو جدير بالأسف أنه بات من الراسخ في وهمنا أن تلك الألفاظ المستكرهة لا بد من إثباتها في معاجمنا، وإلا اجترحنا أفظع جريرة في حق لغتنا، وأفقدناها كنزاً ثميناً لا يعوض ولا نعلم متى تسقط هذه الكلمات المنبوذة من معاجمنا"[٢٩].

وهذه نظرة غير موفقة لهذا النوع من الألفاظ التي يمكن الاستفادة منها بإحيائها في معناها أو بإلباسها معنى جديداً كما استفادت بعض اللغات الحية من ممات اللاتينية القديم.

الفصل الثالث

دور مجامع اللغة العربية في إحياء الممات

تنطلق مجامع اللغة العربية في عنايتها باللغة وحرصها على نقائها وإثرائها بما يضمن لها النماء والحيوية ومسايرة مستجدات العصر من نظرتين متوازيتين:

إحداهما: الحفاظ على التراث اللغوي للعربية، وتقريب بعيدة، وتيسير غريبة، وإحياء مماتة.

ثانيهما: الاقتراض والترجمة.

ولهذه المجامع نشاط ملحوظ في إحياء الممات يتلخص في التشجيع على الاستفادة من ممات العربية فيما استجدّ من المعاني والمصطلحات، وإحياء ما يلائم روح العصر منه، والحدّ من تسرّب الدخيل المعاصر إلى اللغة، ليكون الممات أحد الوسائل النافعة التي تمدّ العربية بكلمات جديدة تدعو إليها الحاجة ومقتضيات العصر.

ولكن المجامع اللغوية التي تكاثر فيها الأعضاء المجددون اتجهت بتأثير منهم نحو اعتماد آراء أكثر جرأة في التجديد والانفتاح على اللغات الحية عن طريق التعريب والترجمة، فانعكس ذلك سلباً على نشاط المجامع في إحياء الممات أو العودة إلى الغريب والحوشي والمهجور.

ومن هذا المنطلق تعالت الأصوات الداعية إلى ترك الممات وإهمال المهجور والألفاظ الحوشية الجافية بحجة عدم الحاجة إليها أو قلة الفائدة منها.

ومن هؤلاء علي الجارم الذي ذكر أنه وجد بمجلة المجمع القاهرة ألفاظاً قديمة غير مستعلمة، وقد اعتمدت للتعبير عن أشياء جديدة تختلف معانيها عن معانيها القديمة، وهو لا يستسيغ هذه الطريقة[٣٠].

وقدم الأستاذ أحمد أمين اقتراحاً يقضي بالتخفف من كثير من مفردات اللغة، وهو يرى "أن أولى الكلمات بالإعدام هي تلك الكلمات الحوشية فلا بد من استبعادها وعدم إدخالها في المعاجم الجديدة"[٣١].

وعلق عليه الدكتور إبراهيم أنيس مؤيداً تخليص اللغة من الألفاظ الحوشية والمهجورة[٣٢] وأدى هذا الاقتراح للأستاذ أحمد أمين إلى صدور قرار لمجمع اللغة بالقاهرة في الدورة الثلاثين سنة ١٩٦٤م وفيما يلي نص القرار:

"من الواجب أن يكون من المعاجم ما يتضمن كل كلمات اللغة، أما وصف بعض الألفاظ بأنها حوشية فذلك اعتبار بلاغي لا لغوي، ولا يستبعد اللفظ من المعاجم بأنه حوشي"[٣٣].

وبهذا رد المجمع الاعتبار للألفاظ القديمة وفتح الباب للإفادة منها في المصطلحات العلمية الجديدة، فأصبحت القاعدة تنص على تفضيل المصطلحات العربية القديمة على المصطلحات المستحدثة شريطة ألا تكون المصطلحات المستحدثة شائعة في الاستعمال، وأن تكون المصطلحات القديمة معبرة عن المقصود تعبيراً دقيقاً[٣٤].

وكان لتدخل الشيخين حسين والي وأحمد الإسكندري[٣٥] أثر ظاهر في ترجيح كفة المحافظين الداعين إلى الاستعانة بالتراث اللغوي القديم بجميع أوجهه، ومنها الغريب والحوشي والمهجور والممات.

وكان الاتجاه اللغوي في باقي مجامع اللغة العربية مشابهاً لما يدور في أروقة مجمع القاهرة فثمة تياران يتنازعان في مجمع دمشق أحدهما محافظ والآخر مجدد، يدعو أولهما إلى إحياء التراث اللغوي، والتحفظ على ظاهرة الاقتراض اللغوي، فثمة باحثون في ذلك المجمع سعوا إلى استثمار رصيد العربية اللغوي استثماراً إيجابياً[٣٦].

ومهما يكن من أمر فإن مجامع اللغة - في الجملة - تنظر إلى تراث العربية القديم بما فيه من حوشي ومهجور وممات نظرة احترام وتقدير، وتدعو إلى استثمار ذلك الرصيد الوافر لتنمية اللغة والاستعانة به في المصطلحات شريطة أن يعالج من قبل لغويين متخصصين، لا يتقيدون بالمعنى القديم لتلك الألفاظ، فقد يعمدون إلى نزع دلالي كامل يطبق على بعض تلك الألفاظ المماتة مثلما فعل العلماء الأوربيون الذين هجموا على الممات في اللاتينية واشتقوا منه كثيراً

---

٢٩ مجلة المشرق سنة ١٩٣١م، مجلد ٢٩ ص ٦٨٣.

٣٠ ينظر:أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٦٦، ومحاضر الجلسات ٧٧/٢.

٣١ في أصول الفقة ٧١.

٣٢ في أصول اللغة ١٠٩.

٣٣ في أصول اللغة ٧١.

٣٤ محاضر الجلسات ٤٣٢/١.

٣٥ ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٠٥.

٣٦ ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤١٤، والمصطلحات العلمية في اللغة العربية ٦٥،٦٦،٧٥.

من مصطلحاتهم[٣٧] بعد تحوير المعنى اللغوي القديم، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

ويبدو هذا الرجوع إلى القديم واضحاً عند محمود تيمور الذي استعمله كثيراً في (معجم الحضارة) الذي تتميز مصطلحاته بقدمها و محافظتها[٣٨].

ومن المصطلحات القديمة أو المهجورة أو المماتة التي أحياها بعض المعاصرين ووضعها لما يقابلها من المصطلحات الأجنبية: "زُلّخة"[٣٩] للتعبير عن (LUMBAGO) أحياها عبد الفتاح الصعيدي في بحثه (مصطلحات العلوم)[٤٠].

ومما أحياه بعض العلماء: (الوشيعة)[٤١] لـ: (LE GRILLAGE)

و(المَثْعَب)[٤٢] لـ: (LE SIPHON)

و(السَّحْسَاح)[٤٣] لـ: (LA DOUCHE)

و(الشِّمْراخ)[٤٤] لـ: (PETITE LISTE)

و(الصَّفْنة)[٤٥] لـ: (LA TROUSSE)

و(المَثْبَنَة)[٤٦] لـ: (LE SACA)

وفي غير المصطلحات تدعو مجامع اللغة الأدباء والكتاب والعلماء للعناية بالمفردات المهجورة وإحيائها في كتاباتهم، لأن الكلمة التي تنقرض من لغة المحادثة تأوي إلى ركن شديد في ميادين الشعر أو الأمثال أو الآداب أو الفنون، فتتوطد لها فيه أسباب المنعة والبقاء[٤٧]، وتعود إلى الاستعمال عند الحاجة، وفي هذا يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: (أما نشأة كلمات في اللغة فتدعو إليها - في الغالب - مقتضيات الحاجة إلى تسمية مستحدث جديد مادّي أو معنوي...

ويتم ذلك بإحدى الوسائل الآتية:

١ - إنشاء الكلمة إنشاء...

٢ - انتقال الكلمة من اللغة أو اللهجة إلى لغة أو لهجة أخرى...

٣ - إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات المهجورة في اللغة..."[٤٨].

وبالجملة، فإن لمجامع اللغة نشاطاً ملحوظاً مشكوراً في إحياء الممات والمهجور والحوشي يتلخص في التشجيع على الاستفادة منه فيما يستجد من المعاني والمصطلحات بما يلائم روح العصر، للحد من تسرب الدخيل المعاصر إلى اللغة العربية.

الخاتمة

والآن؛ وقد انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضاه المنهج وارتضاه البحث، وفق الخطة التي ذكرتها في المقدمة، وإذ انتهيت فيه إلى الصورة التي رجوت، يجدر بي أن أعرض لأبرز ما ورد فيه من أفكار أو حقائق أو نتائج، وهي على النحو التالي:

(أ) من ألفاظ العربية ما يملك مقومات الحياة والبقاء فيبقى، ومنها ما يفقد تلك المقومات فيموت ويفنى، فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس التطور والارتقاء، وليس فيها كسب دائم من النمو والتجدد، فكل نمو في جانب يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر.

(ب) من الألفاظ في العربية ما يعمر فلا يموت، ولو مضى عليه آلاف السنين، لما فيه من ضروب المناعة الداخلية، كقوة المعنى، ودوامه، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه، أو المناعة الخارجية، كألفاظ القرآن الكريم التي تكفّل الله - عز وجل - بحفظها.

(ج) لا يكون الموت في الألفاظ أبدياً، فكل لفظ مات واندثر قابل للبعث لتدب فيه الحياة من جديد، وتجري به الألسن بمعناه القديم، أو بإلباسه معنى جديداً.

(د) للمات في اللغة وجهان رئيسان:

الأول: موت الألفاظ، وهو موضوع هذا البحث.

الثاني: موت المعاني ؛ أي أن يموت المعنى ويبقى اللفظ لتطور دلالته وانتقالها إلى معنى آخر،كالألفاظ الإسلامية التي تركت معانيها القديمة.

(هـ) الحكم القاطع بموت الألفاظ يقتضي الإطلاع على اللغة كاملة، وهذا من المحال،ولذا يجب الحذر وعدم القطع بالأحكام في الممات، ويحسن الاستئناس بأقوال علماء العربية المتقدمين وإشاراتهم في هذا الموضوع؛ لأنهم أقرب عهداً بمنابع اللغة وأصولها، وأكثر إحاطة

---

٣٧ ينظر: اللغة والعلوم ٢٤.

٣٨ ينظر: أعمال مجمع اللغة ٤١٥.

٣٩ الزُّلّخة: الزّحلوقة يتزلخ منها الصبيان، أي يتزحلقون . ينظر: القاموس المحيط (زلخ) ٣٢٢.

٤٠ ينظر: مجلة مجمع القاهرة ج ١٣ ص ٢١٥.

٤١ الوشيعة: خشبة أو قصبة يلف عليها الغَزْل. ينظر: اللسان (وشع) ٣٩٤/٨.

٤٢ المثعب: مسيل السطح والحوض ينظر: أقرب الموارد (ثعب) ٨٨/١.

٤٣ السَّحْسَح والسحساح: عرصة الدار، عرصة المحلّة. ينظر: اللسان (سحح) ٤٧٧/٢.

٤٤ الشمراخ: الغرة التي دقّت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الأنف ولم تبلغ الجحفلة . ينظر: اللسان (شمرخ) ٣١/٣.

٤٥ الصَّفْنة: شيء يشبه العيبة يضع فيه الرجل متاعه ينظر: اللسان (صفن) ٢٧٤/١٣.

٤٦ المثبنة: كيس تضع فيه المرأة مرآتها وأداتها . ينظر: اللسان (ثبن) ٧٦/١٣.

٤٧ ينظر: علم اللغة لوافي ٣٠٠.

٤٨ علم اللغة لوافي ٢٩٨.

بكلام العرب.
ويمكن - أيضاً - الاستعانة بمقاييس اللغة، فيقال مثلاً: إن للفعل الملازم للبناء للمجهول فعلاً مبنياً للمعلوم مماتاً، وإن للاسم الملازم للتصغير مكبراً مماتاً، وإن للجمع الذي لا واحد له مفرداً مماتاً؛ لأن المبني للمجهول والمصغر والجمع فروع، والمبني للمعلوم والمكبّر والمفرد أصول؛ ووجود الفرع في الاستعمال يدلّ على استعمال قديم للأصل.
أما المفرد الذي لا جمع له من لفظه فإنه لا يتعيّن القول بأنّ له جمعاً مماتاً؛ لأن وجود الأصل دون الفرع لا يقتضي ذلك؛ أي: لا يقتضي ظهور الفرع، فيجوز أن يكون الفرع مما لم يستعمل أصلاً، أي أن يكون مهملاً، والمهمل غير الممات.
ومن أظهر الأدلة على هذا المقياس الفعلُ المضارع، فإن ظهوره في الاستعمال دون الماضي يقتضي القول بأن الماضي ممات، ومن هنا حكم علماء اللغة بإماتة الفعلين (وَذَرَ) و (وَدَعَ) استدلالاً بمضارعيهما: (يَذَرُ) و(يَدَعُ).
وإن ظهر الماضي في الاستعمال دون المضارع والأمر تعيّن التوقّف في الحكم؛ لأنه لا يستدلّ بالأصل على إماتة الفرع.
(و) جاء الممات في العربية في الأسماء، وجاء في الأفعال - أيضاً. ولم أجد شيئاً منه في الحروف.
ففي الأسماء جاء في: أسماء الأيام، وأسماء الشهور، ومفرد بعض المثنيات أو الجموع، ومكبّر بعض الأسماء المصغرة، وأسماء متفرقة زالت بزوال معانيها.
وفي الأفعال جاء في أفعال أميتت صيغها وتصريفاتها بالكامل، وأفعال أميت المجرد منها دون المزيد، وأفعال أميتت بعض تصريفاتها، وأفعال مبنية للمجهول أميت المبني للمعلوم منها.
(ز) تموت الألفاظ لأسباب عديدة، وهي ترجع - في الجملة - إلى سببين أوعاملين رئيسين:
أحدهما: العامل الصوتي.
والآخر: العامل الدلالي.
وهذا الأخير هو العامل الفعال فيما يتصل بإماتة الألفاظ، وإليه يعود موت كثير من الألفاظ المشهورة في العربية، وللإماتة في هذا العامل عدة أسباب، من أبرزها:
١- زوال المعنى.
٢- الاستغناء.
٣- العامل الديني.
٤- العامل الاجتماعي.
(ح) يمكن أن يعد إحياء الممات وسيلة فعالة من وسائل تنمية اللغة العربية من داخلها، إذا أُريد المحافظة على نقاء اللغة والحدّ من ظاهرة الاقتراض فيها بشقيها المعرب والدخيل.
(ط) لعلماء العربية القدامى والمحدثون موقفان متضادّان في إحياء الممات، وهم في ذلك فريقان:
فريق لا يجيز إحياء الممات.
وفريق يجيزه، ويرى أن يستعان به في تنمية اللغة.
(ي) لمجامع اللغة العربية نشاط ملحوظ في إحياء الممات يتلخص في التشجيع على الاستفادة من ممات العربية فيما استجد من المعاني والمصطلحات وإحياء ما يلائم روح العصر منه، والحد من تسرب الدخيل المعاصر إلى اللغة، ليكون أحد الوسائل النافعة التي يمكن أن تمد العربية بكلمات جديدة تدعو إليها الحاجة ومقتضيات العصر.
(ك) لظاهرة موت الألفاظ في اللغة العربية مصطلحات متعددة عند اللغويين القدامى، مثل: (الممات) و(المتروك) و(المهجور) و(العُقميّ) و(الاستغناء) و(المنقرض) و(البقايا الأثرية) و(الكلمات التاريخية) وهي مترادفة في معناها إلى حد كبير.
وقريب منها: (الحوشي) و(النادر) و(الشارد) و(الغريب) و(المذموم) و(المرغوب عنه) و(المنكر) و(الرديء) و(القبيح).